ADDAMEER
الضمير

معسكرات الاحتلال

امتداد لجريمة الإبادة الجماعية لأسرى قطاع غزة، وتاريخ من القمع والاضطهاد

معسكر عوفر

ورقة من سلسلة أوراق

مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان

معسكر عوفر

يقع معسكر عوفر جغرافيّاً بالقرب من سجن عوفر، المقام على أراضي بلدة بيتونيا غرب رام الله. تحتوي منطقة عوفر على محكمة عسكريّة، ومركز توقيف إضافة إلى سجن مركزيّ يتبع لمصلحة السجون الإسرائيليّة. يُعدّ هذا المعسكر جديداً، فقبل السابع من أكتوبر لم يكن هناك أسرى فلسطينيّون محتجزون في هذا المعسكر، حيث تمّ إنشاؤه وبدء احتجاز أسرى قطاع غزّة به بعد السابع من أكتوبر 2023، والمعسكر على عكس سجن عوفر تتبع إدارته إلى الجيش الإسرائيليّ ولا يخضع للوائح الداخليّة التي تخضع لها السجون الإسرائيليّة.

يقع مدخل المعسكر بين مدخل السجن ومدخل المحكمة العسكريّة، ويقف المحامي طالب الزيارة عند هذا المدخل حتّى تأتي سيّارة تابعة لوحدة الشرطة العسكريّة لنقل المحامي من الباب الرئيسيّ حتّى باب غرفة زيارة المحامي. بعد العبور من باب المعسكر يمرّون في شارع محاذٍ لجدار السجن المركزيّ، وينعطفون إلى الجهة اليمنى بعد 500 متر من البوّابة الرئيسيّة. وبعدها ينعطفون مرّة أخرى إلى الجهة اليسرى، وهنا يصلون إلى موقع المحكمة العسكريّة التي تمّ إنشاؤها في عام 2002، وبعد أمتار عدّة ينعطفون مرّة أخرى إلى اليمين، وهناك يدخلون إلى معسكر عوفر الذي تمّ إنشاؤه في عام 2023، ومن هناك يتمّ المرور عبر بوّابة مصنوعة من ألواح زينكو، وبعد العبور من هذه البوّابة يصلون إلى ساحة معبّدة بالأسفلت تمّ إنشاؤها حديثاً. وبهذا يكون قد وصل المحامي إلى باب الغرفة المخصّصة للزيارات داخل المعسكر. غرفة الزيارة هي مبنى متنقّل، وتكون الغرفة مقسّمة إلى قسمين، القسم الأوّل مخصّص للمحامي، ويحتوي على باب، أمّا القسم المقابل فهو مخصّص للأسرى، ويحتوي على باب خلفيّ، ويكون هناك فاصل بين الأسير والمحامي خلال الزيارة[1]

[1] مقابلة مؤسّسة الضمير مع محامي يقوم بزيارة الأسرى في تاريخ 10 كانون أول 2024

ظروف المعيشة في معسكر عوفر

الغرف في المعسكر

يتكوّن المعسكر من أقسام عدّة، وهي: (أ) و(ب) و(ج)، كلٌّ من هذه الأقسام يحتوي على عدد من الغرف، جميع الأسرى المحتجزين في هذا المعسكر هم أسرى من قطاع غزّة، فلا يُحتجز به أسرى من الضفّة الغربيّة، ويتراوح أعداد الأسرى المحتجزين في كلّ غرفة من 17-22 أسيراً. ونذكر أنّ معظم الأسرى الذين يتمّ احتجازهم في معسكر عوفر، قد نُقلوا في بداية الاعتقال إلى معسكر "سديه تيمان"، وقد تعرّضوا منذ المراحل الأولى للاعتقال إلى العديد من الجرائم، واستمرّت دولة الاحتلال في ارتكاب جرائم مختلفة بحقّهم أثناء احتجازهم في معسكر "سديه تيمان" ووصولاً إلى معسكر عوفر.

تتكوّن غرف المعسكر من جدران باطون ونوافذ صغيرة الحجم، وتحتوي كلّ منها على مرحاض وحنفيّة، وبعض منها يحتوي على دوش داخل الحمّام، لكن لا يتمكّن الأسرى من الاستحمام بشكل دوريّ؛ وذلك بسبب قطع المياه من قبل إدارة المعسكر. يوجد داخل الغرف أبراش حديديّة، ويختلف أعداد الأبراش باختلاف مساحات الغرف، ولكن بسبب سياسة الاكتظاظ التي يعاني منها الأسرى التي شرعنها الاحتلال بقانون منذ بداية السابع من أكتوبر العام المنصرم2، الذي على أثره أصبح هناك اكتظاظ شديد في غرف الأسرى، وأصبح ما لا يقلّ عن أسيرين يُجبرون على النوم على فرشات رقيقة جدّاً على الأرض.

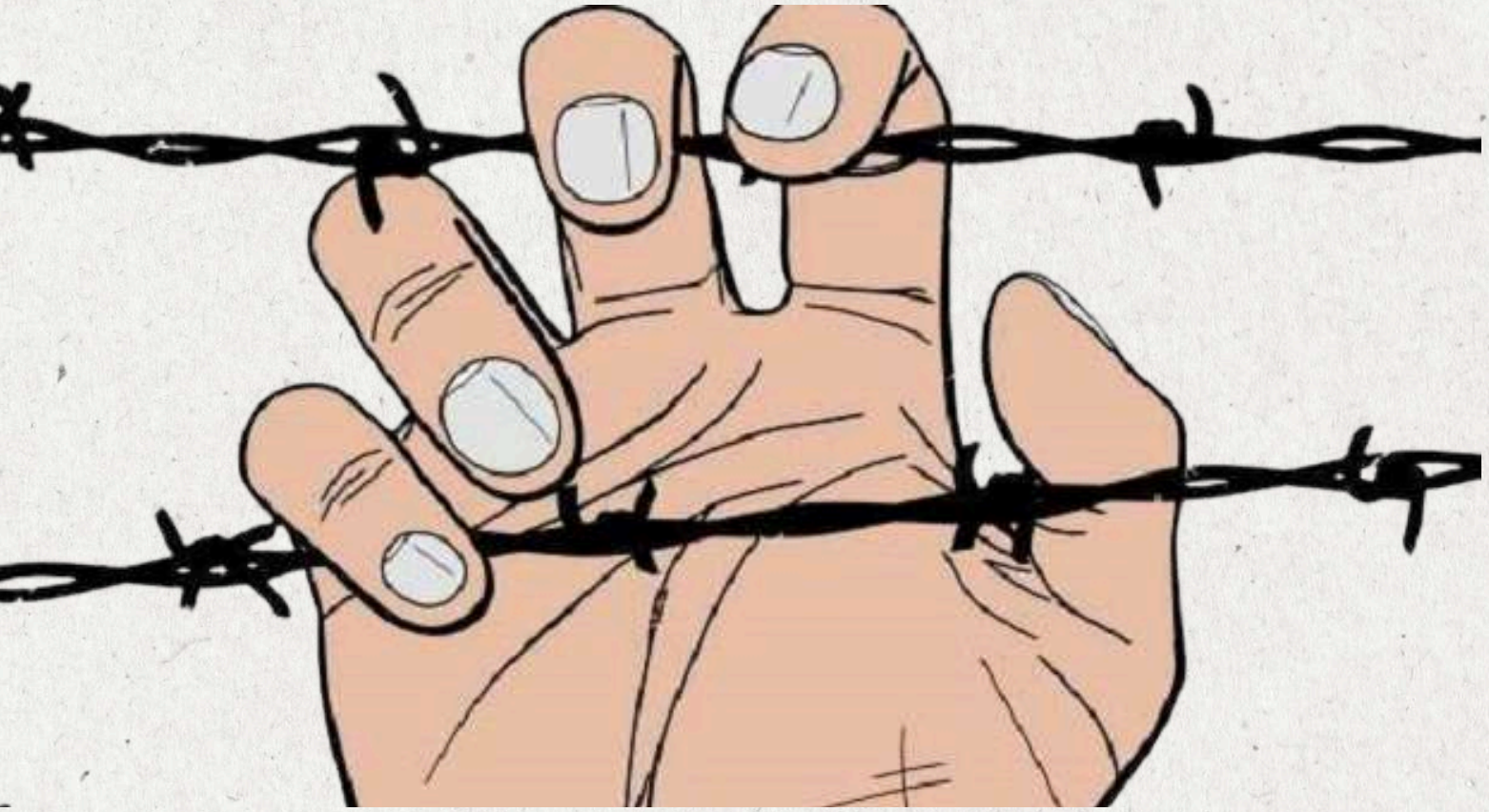

2 للمزيد عن القانون انظر إلى تقرير الانتهاكات لحقوق الأسرى والأسيرات عام 2023

https://www.addameer.org/ar/media/5413

التجويع

كانت مصلحة السجون قد بدأت في سياسة التجويع منذ السابع من أكتوبر العام المنصرم مع جميع الأسرى والأسيرات المحتجزين في سجون الاحتلال، واتّبع الجيش أيضاً هذه السياسة مع الأسرى والأسيرات المحتجزين في المعسكرات. وانتشرت هذه السياسة بشكل واسع في معسكر عوفر، حيث أفاد الأسرى للمؤسّسات الحقوقيّة أنّ كمّيّات الطعام المقدّمة هي فقط لكي يبقوا على قيد الحياة، وغالباً ما يكون الطعام فاسداً، أو غير مطبوخ حيث إنّ الأسرى بدأوا بتلقّي الطعام المطبوخ بعد أشهر عدّة من بداية الحرب، ويُقدَّم فقط في يومين في الأسبوع ويكون الطعام معكرونة أو بطاطا، ولكنْ حتّى هذه الطعام هو غير مطبوخ بشكل جيّد. واعتمد النظام الغذائيّ في معسكر عوفر لأشهر عدّة على شرائح من الخبز ما بين 2-4 شرائح، مع القليل من الجبن أو الشوكولاتة، أو المربّى.

وفي محاولة من إدارة المعتقل لإذلال الأسرى، وتحويل الطعام إلى أداة لتعذيبهم وكسرهم، منعوا وجود أدوات الطعام، مثل: الصحون، والكاسات، والملاعق، والشوك وغيرها فيُجبرون على الأكل بأيديهم. وأفاد الأسير (ع، ش) قائلاً: "الأكل سيّء جدّاً، ويوزّعون علينا أكلاً باليد، وكلّ أسير يفتح يديه من فتحة الباب وهو مقيّد، ويضعون المعكرونة، والفلافل، أو البطاطا، والنقانق باليد، وهو يأكلها من يديه بدون صحن أو شوكة"6، كما وجد الأسرى آثار بصق، وآثار أقدام على الأكل المقدّم لهم، فقد أفاد أحد الأسرى أنّ: "الأكل سيّء جدّاً كمّاً ونوعاً، وفي كثير من الأحيان نجد آثار بصاق من قبل الجنود، وأحياناً نجد على الخيار دعسات البساطير ولكن نضطرّ للأكل"7، إنّ هذه التصرفات تؤكّد على نيّة الاحتلال تجريد الأسرى من كرامتهم الإنسانيّة.

وتمّ التركيز بشكل أساسيّ في الطعام على السكريّات، فيتمّ تقديم المربّى والشكولاتة للأسرى بشكل مستمرّ منذ السابع من أكتوبر، وتكون في معظم الأحيان وجبات الإفطار والعشاء معتمدة على هذه المكونات مع قطعة أو قطعتين من الخبز. وأفاد الأسير (ب، ن) قائلاً: أصبح لدي مشكلة صحيّة بسبب الطعام، ولأنّ جميع الطعام المتوفّر عالي السكر أصبح لديّ طفح جلديّ، وارتفاع في درجة الحرارة لأنّي أعاني من حساسية السكّر"8. وتأتي جريمة التجويع متقاطعة مع جرائم أخرى يرتكبها المسؤولين عن إدارة المعسكر، وهي عدم توفير فراشي، أو معجون للأسنان ليتمكّن الأسرى من تنظيف أسنانهم والمحافظة عليها في ظلّ اعتماد أكلهم على السكريّات التي تؤثّر بشكل مباشر على صحّة الأسنان في عدم تنظيفها بشكل صحيح بعد أكل السكريّات، وبالتالي انتشرت أمراض الأسنان بشكل كبير في المعسكر، ومع ذلك لا يوجد أيّ علاج طبّيّ لأمراض الأسنان، ولا تحسين نوعية الطعام المقدّم للأسرى، ولا يتمّ توفير فراشي أسنان، أو معجون للأسرى.

6 زيارة محامي الدفاع للأسير (ع، ش) في معسكر عوفر بتاريخ 29 آب 2024

7 زيارة محامي الدفاع للأسير (خ، ع) في معسكر عوفر بتاريخ ١١ تموز 2024

8 زيارة المحامي للأسير (ب، ن) في معسكر عوفر بتاريخ 14 تشرين الأول 2024

إنّ إرغام الأسرى من قبل إدارة المعسكر على اعتماد نظام غذائيّ عنصره الأساسيّ هو السكّر، ويفتقر إلى البروتينات والدهون الصحيّة، وغيرها من العناصر الغذائيّة المكمّلة، يؤثّر بشكل مباشر وسلبيّ على صحّة الأسرى العامّة، حيث إنّ هذا النظام يؤدّي إلى ضعف الجهاز المناعيّ، وتدهور صحّة العظام والعضلات والدم. ويبدأ الجسم في استهلاك الأنسجة العضليّة كمصدر للطاقة بسبب نقص البروتينات9. وأشار عدد كبير من الأسرى أنّهم فقدوا وزناً بشكل كبير، حيث أشار الأسير (ع، ن) خلال زيارة المحامي له في تاريخ 25/7/2024 أنّه فقد 50 كيلو من وزنه منذ بداية الاعتقال.

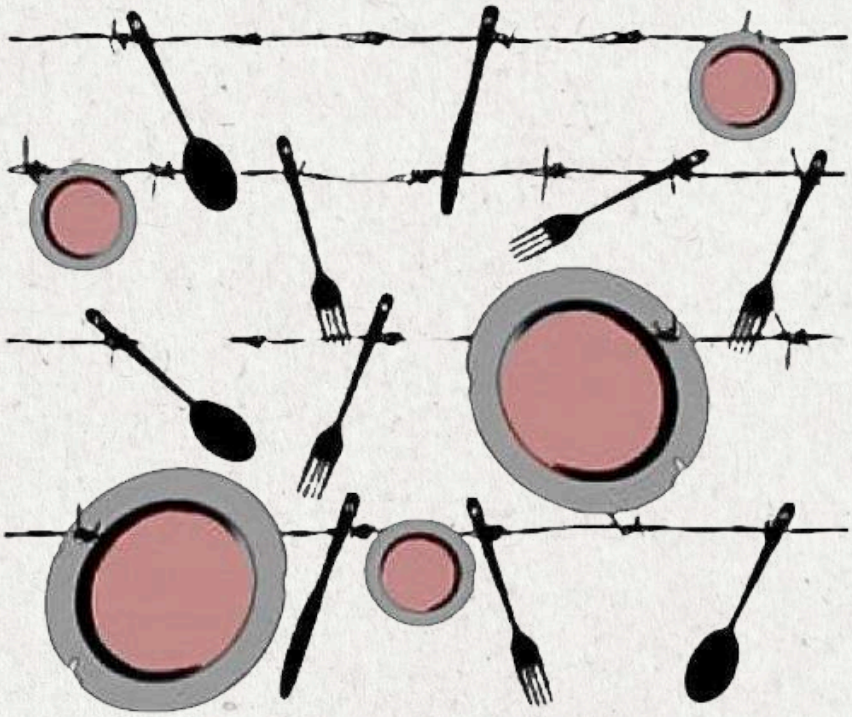

الحرمان من النظافة الشخصية: أسلوب آخر للتعذيب

لم يكن الأسرى يعانون فقط من التعذيب والإهانات والإذلال الذي تعرّضوا له في معسكر عوفر، بل كان استهداف أبسط الاحتياجات الأساسيّة للإنسان التي تشكّل أحد أساسيّات الروتين اليوميّ للأسرى قبل الاعتقال جزءاً أساسيّاً من عمليّات التعذيب الجسديّ والنفسيّ على حدّ سواء. حيث تمّت محاربة الأسرى من خلال حرمانهم من نظافتهم الشخصيّة، وتقليص الاستحمام إلى الحدّ الأدنى، الذي يصل أحياناً إلى مرّة واحدة في الشهر.

ومن خلال توثيق مؤسّسة الضمير مع ما يزيد عن 373 أسيراً، أعربت غالبيّتهم العظمى عن عيشهم ظروفاً مشابهة بما يتعلّق بالاستحمام، حيث إنّه يُسمح لهم بالاستحمام مرّة واحدة أسبوعيّاً، وبعضهم يُسمح لهم بالاستحمام مرّة كلّ أسبوعين، وتكون المدّة المخصّصة لكلّ معتقل 5 دقائق فأقلّ، ففي حال تجاوز هذه المدّة يُعاقَب المعتقل بعدة عقوبات منها الوقوف تحت الشمس لمدّة تتجاوز الساعة.

9 الطبي. "أغراض نقص البروتين في الجسم". 15 تشرين الأول 2023 https://tinyurl.com/4brvn9ns

ولا يُسمح للأسرى بتغيير ملابسهم خلال الفترات بين الاستحمام والأخر، فيجب أن ينتظروا اليوم المخصّص للاستحمام لتغيير ملابسهم، بما فيها الملابس الداخليّة، وذلك يعتمد على السماح لهم بالاستحمام. ولكن ذلك لا يعني بالضرورة حصول الأسرى على ملابس نظيفة، أو السماح لهم بتبديل ملابسهم أساساً، حيث إنّه في بعض الأحيان التي يُسمح لهم بتبديل ملابسهم يمكن أن يتمّ إعطاؤهم ملابس متّسخة أو ممزّقة، وفي بعض الأحيان يحصلون على ملابس نظيفة. وتغيير الملابس عادّة ما يتضمّن اللباس الداخليّ والبلوزة ولا يضمن دائما تغيير البنطال. وقال الأسير (ع، ح) "نقوم بتغيير الملابس مرّة أسبوعيّاً، لكنّها ملابس مستخدمة وغير نظيفة"10.

وأفاد الأسرى أنّ أيّام الاستحمام عادّة تكون الإثنين أو الخميس، إلّا أنّ إدارة السجون تستخدم الاستحمام عقاباً بحقّ الأسرى، حيث يُحرم الأسرى من الاستحمام فترات قد تصل لشهر؛ ما يؤدّي إلى آثار جانبيّة عدّة، منها: تهيّج الجلد الناتج عن تراكم الزيوت، والعرق خاصّة في المناطق التي تتعرّض للاحتكاك، مثل الابطين والفخذين، والتهابات الجلد التي تزيد من خطر العدوى الفطريّة أو البكتيرية، والقشرة وجفاف فروة الرأس، ومن الأسرى الذين تم عقابهم الأسير (ص،أ)، والذي أفاد: " انا منذ شهر لم اتحمم ولم اغير ملابسي انا معاقب لأنني كنت العب لعبة "ادريس" التي كانت مرسومة على الفرشة"11.

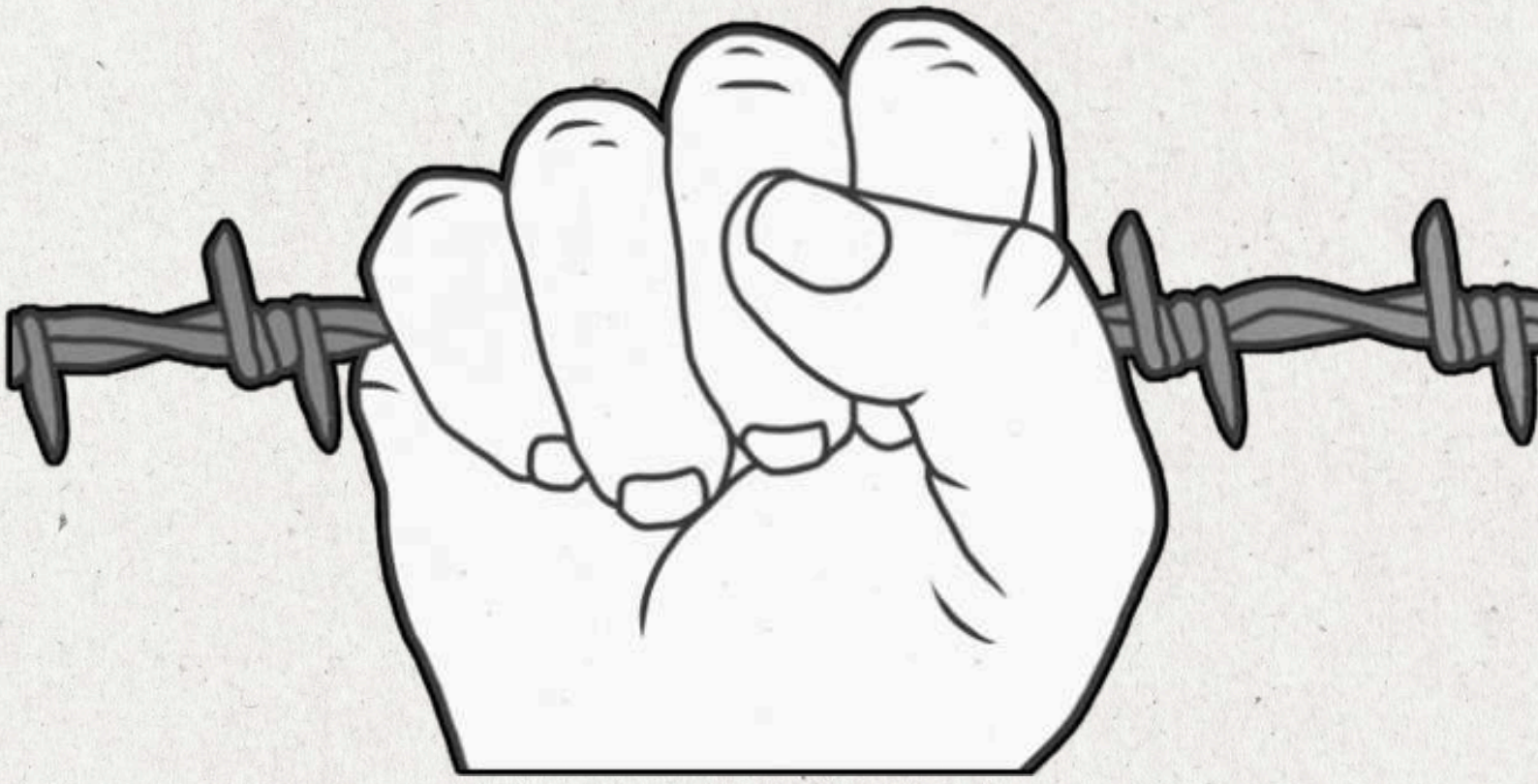

10 زيارة المحامي للأسير (ع، ح) في معسكر عوفر بتاريخ 7 آب 2024

11 زيارة المحامي للأسير (ص، أ) في معسكر عوفر بتاريخ 14 تشرين أول 2024

ومن ناحية الاحتياجات الخاصّة للأسرى مثل الصابون، وورق التواليت التي تُعدّ من الاحتياجات الأساسيّة للأسرى أثناء فترة الاحتجاز، كان يتمّ توفيرها بالحدّ الأدنى، بحيث يتمّ توفير لفّة ورق واحدة فقط في الأسبوع لجميع المحتجزين في الغرفة الذين كان يصل عددهم أحياناً 20 أسيراً، حيث أفاد الأسير (م، ظ) قائلاً: "يتمّ توفير لفّة ورق تواليت واحدة في الأسبوع ل22 أسيراً"12. إضافة إلى عدم توفير الصابون لغسل أيديهم، أو وجوههم خلال النهار؛ نظراً لوضع قيود صارمة على الاستحمام، حيث أفاد عدد كبير من الأسرى بعدم توفّر الصابون أبداً، أو توفّره بكميّات قليلة جدّاً. وقال الأسير (ح، أ): "لا يوجد صابون للاستخدام اليوميّ"13.

وتدخل جميع سبل النظافة الشخصيّة كأدوات لمحاربة الأسرى في السجون، فدخلت حلاقة الشعر، وتقليم الأظافر ضمن دائرة العقوبات التي تهدف إلى الانتقام من الأسرى والنيل منهم، ومُنع الأسرى لأشهر طويلة من تقليم الأظافر، وحلاقة الشعر، وتداخلت جميع هذه الظروف مع منعهم أيضاً من تنظيف زنازين الاعتقال من خلال عدم توفير موادّ نظافة، أو قشّاطات أو مماسح؛ ما أدّى إلى انتشار الحشرات في السجون، وانتشر القمل في رؤوس عدد من الأسرى، حيث أفاد الأسير (ن، ج) قائلاً: "كان هناك انتشار للحشرات في رأسي وذقني، وأجبرت على الحلاقة على الصفر مرّتين"14، وأيضاً عدم توافر أدوات النظافة والتعقيم لعب دوراً جوهريّاً في انتشار مرض الكسابيوس داخل السجون بسرعة كبيرة جدّاً، وساعد أيضاً في تفاقم الوضع الصحيّ للأسرى، وعدم السيطرة على المرض.

12 زيارة المحامي للأسير (م، ظ) في معسكر عوفر بتاريخ 8 تموز 2024

13 زيارة المحامي للأسير (ح، أ) في معسكر عوفر بتاريخ 30 تموز 2024

14 زيارة المحامي للأسير (ن، ج) في معسكر عوفر بتاريخ 10 حزيران 2024

القمع والعقوبات

بالنظر إلى الانتهاكات الجسميّة التي ارتكبتها قوّات الاحتلال خلال مراحل الاعتقال لأسرى قطاع غزّة، مروراً بنقلهم إلى السجون، والتي وصلت إلى حدّ جرائم الحرب والجرائم ضدّ الإنسانيّة، لكنّ قوّات الاحتلال لم تتوقّف، بل فرضت إجراءات عقابيّة انتقاميّة، قائمة على سياسة القمع والسيطرة في مختلف السجون الإسرائيليّة.

تعرّض الأسرى المحتجزون في معسكر عوفر إلى اعتداءات بالضرب المبرح، وسياسة عقاب، فقد أُخذت صور عدّة من قبل السجّانين. وبالرغم من أنّ السجّانين قاموا بإنزال هذه العقوبات على الأسرى منذ اللحظات الأولى لوصولهم إلى معسكر عوفر، إلّا أنّه حتّى يومنا هذا لا تزال أسباب هذه العقوبات والإجراءات مجهولة وغير مبرّرة. فالجزء الأكبر من هؤلاء المعتقلين جرى نقلهم إلى معسكر "سديه تيمان" في بداية الاعتقال؛ نظراً لقربة الجغرافيّ على قطاع غزّة، وبعد أن قضى الأسرى فترات متفاوتة في معسكر "سديه تيمان"، جرى نقل قسم منهم إلى معسكر عوفر، وأثناء وجودهم في "سديه تيمان" وحتّى أثناء النقل إلى معسكر عوفر تعرّضوا لاعتداءات جسيمة التي استمرّت في معسكر عوفر، فأوضح أحد الأسرى بأنّه أثناء نقله من معسكر "سديه تيمان" إلى معسكر عوفر كان يجلس في الكرسي الأخير في الباص، وكان الجنديّ الذي يجلس بجانبه يضع رجليه على رأسه وكتفه، وعندما طلب منه رفع رجليه لأنّه مريض ويعاني من سوء التنفّس، قام الجندي وجلس على ظهره وأخذ يضغط طوال الوقت على ظهره، ويقفز ويضغط عليه حتّى لم يعد بإمكانه التنفّس15.

15 زيارة المحامي للأسير (ن، أ) في معسكر عوفر بتاريخ 10 تموز 2024

أصبحت متطلّبات الحياة الأساسيّة، مثل التواصل الاجتماعيّ بين الأسرى المحتجزين في الغرفة الواحدة حجّة يستخدمها السجّانون لعقاب الأسرى، فكان يمنع عليهم الكلام فيما بينهم، كما أنّ ممارسة الأسرى لحقوقهم الأساسيّة، مثل الحقّ في العبادة يتم معاقبتهم عليه أيضاً. وأخذت جميع هذه العقوبات طابع العقوبات الجماعيّة، ومع قيام أيّ أسير في ممارسة حقّه الطبيعيّ في الاتّصال والتواصل مع الأسرى الآخرين المحتجزين في الزنزانة ذاتها، أو حقّهم في العبادة والصلاة وغيرها من الممارسات، تتمّ معاقبة جميع الغرفة، وهذا ما يؤكّد سياسة العقاب الجماعيّ التي تتّبعها سلطات الاحتلال بحقّ الأسرى، هذا وتشكّل هذه الحقوق الأساسيّة للأسرى ذريعة للسجّانين ليقوموا بالاعتداء على الأسرى بالضرب المبرح لأبسط الأسباب، التي رصدت مؤسّسة الضمير جزءاً منها، كالانبطاح أرضاً أثناء عمليّات العدد، أو نظر الأسرى إلى وجوه السجّانين بشكل مباشر، أو تكلّمهم مع السجّانين، أو إقامة الشعائر الدينية، فبحسب إفادة أحد الأسرى كان الجنود يقومون بسحب المعتقلين خارج الزنزانة وضربهم بشكل مبرح في حال قيامهم بالصلاة في الليل،16 ويفيد معتقل آخر: "خلال الأسبوع هذا مرتين رشوا علينا غاز فلفل خلال الصلاة"17.

بدايةً حُرم الأسرى بشكل نهائيّ من الزيارات منذ افتتاح معسكر عوفر، وشمل ذلك الزيارات العائليّة، وزيارات الجهات الدوليّة المخوّلة للقيام بهذه المَهمّة، مثل الصليب الأحمر، إضافة إلى زياراتالمحامين التي شرعنتها دولة الاحتلال عن طريق قوانين تسمح لها بمنع الأسير من لقاء المحامي مدّة وصلت إلى 180 يوماً، وترك الأسرى بلا اتّصال أو تواصل مع العالم الخارجيّ، أو مع عائلاتهم منذ السابع من أكتوبر 2023. ونذكر أنّ الأسرى لا يزالون حتّى تاريخ كتابة هذا التقرير محرومين بشكل نهائيّ من الزيارات العائليّة، أو التواصل مع عائلاتهم عن طريق الهاتف، وهذا المنع أيضاً يسري على الصليب الأحمر، ولكن سمح لزيارات المحامين من بداية شهر ايار، حيث تمكّن المحامون من زيارة الأسرى في معسكر عوفر، ورصد العديد من الانتهاكات التي تعرّض لها الأسرى، ومنها الانبطاح، والسجود، والضرب المبرح للمعتقلين، وحرمانهم من أيّ مظهر من مظاهر الحياة في المعسكر.

16 زيارة المحامي للأسير (ع، س) في معسكر عوفر بتاريخ 29 تموز 2024

17 زيارة المحامي للأسير (س، ع) في معسكر عوفر بتاريخ 29 آب 2024

وهذا ما حدث مع الأسير (أ، ت) الذي تعرّض في تاريخ 25/7/2024 لضرب مبرح جدّاً في المعسكر؛ لأنّه قام بالانبطاح بجانب باب الزنزانة، وعندما سأله الضابط عن سبب انبطاحه بجانب الباب، أجاب أنّه لا يوجد مساحة كافية في الزنزانة، فقاموا بسحب يده من فتحة الباب، وقام أحد السجّانين بجرحه في يده من جهة الساعد الأيسر، وكان الجرح عميقاً لدرجة ظهور العظم، وبدل من أن يتمّ تقديم العلاج المناسب، أكملوا عمليّة التنكيل فتمّ سحبه خارج الغرفة بعنف، ورشّوا على وجهه ما يقارب علبتين من غاز الفلفل، وتسبّب قوّة الاعتداء والضرب بحدوث جرح كبير في منطقة رأسه، حيث أفاد الأسير بأنّه لا يعلم عدد المعتدين عليه، أو الأدوات المستخدمة بالضرب؛ لأنّهم فور سحبه من الغرفة قاموا بتعصيب عيونه، وبسبب الوضع الذي وصل له من الاعتداء سمحوا له برؤية الطبيب داخل المعسكر. وأعرب الطبيب عن ضرورة نقله للمشفى، وبدلاً من أن ينقل بسبب الاعتداء الجسيم الذي تعرّض له، والجروح التي تسبّبها هذا الاعتداء في مختلف أنحاء جسده بسيّارة الإسعاف، إلّا أنّهم قيّدوا يديه إلى الخلف، وقيّدوا أرجله أيضاً مع وجود سلسة تربط بين قيود اليدين والرجلين، وبعدها أعطوه إبرة ، لكنّه لا يعرف على ماذا تحتوي، وعندما أفاق وجد نفسه في أحد المشافي مع 8 قطب في رأسه، إضافة إلى عدد منها في يده[18].

وأفاد الأسير (أ، ت) للمحامي قائلاً: "في اليوم التالي في حوالي الساعة 9:30 أعادوني من المشفى إلى المعسكر، ولكنّني حتّى اليوم أشعر في وجع شديد برأسي، ويوجد لديّ التهاب، ولا يمكنني أن أضع رأسي على الوسادة. وبعد عودتي من المشفى طلبت كثيراً العلاج ولم يستجيبوا لطلبي"[19].

وبسبب ما يتعرّض له الأسرى من اعتداءات وقمع بشكل مستمرّ في القسم (أ)، أطلق عليه الأسرى اسم "قسم الجحيم"، فيتعرّض الأسرى بشكل يوميّ إلى الضرب على الأيدي من خلال فتحات أبواب الزنازين؛ ما أدّى إلى حدوث كسور في أيدي بعض الأسرى. ووضّح الأسير (م، و) عن سياسة الضرب في قسم (أ) قائلاً: "سياسة الضرب موجودة في كلّ أقسام المعسكر، إلّا أنّ هذه السياسة حاضرة بشكل كبير جدّاً في القسم (أ)"[20].

وتتمّ معاقبة الأسرى حتى إذا تكلّموا مع أحد السجّانين، أو وجّهوا لهم أيّ سؤال حيث أفاد الأسير (ص،أ) قائلاً: "نقلوني من غرفة 19 إلى غرفة 21 في قسم (ب)، وقالوا إنّني معاقب لأنّي سألت السجّان عن سبب التكبيل "[21].

18 زيارة المحامي للأسير (أ، ت) في معسكر عوفر بتاريخ 13 تشرين الأول 2024

19 المرجع السابق

20 زيارة المحامي للأسير (م، و) في معسكر عوفر بتاريخ 13 تشربن أول 2024

21 زيارة المحامي للأسير (ص،أ) في معسكر عوفر بتاريخ 14 تشرين الأول 2024

الكلبشات قصة لحالها

(الأسير "ع، ش"، معسكر عوفر، 13 تشرين أول 2024)

خارج أبواب الغرف الاعتقاليّة في معسكر عوفر، ينظر الأسرى إلى الأقفال الملوّنة المثبّتة على أبواب الزنازين التي قد تبدو لهم لوهلة مجرّد أقفال، ولكن هذه الأقفال في الواقع تحمل في طيّاتها معاناة لا تنتهي. فهي ليست مجرّد أدوات لإغلاق أبواب الزنازين بإحكام، بل هو رمز لتقييد وتنكيل مستمرّ يحيط بالأسرى طوال النهار والليل.

داخل جدران الزنازين، يختلف وضع التكبيل فبعض الأسرى لا تزال الأصفاد مقيّدة أيديهم ليلاً ونهاراً، في حين يُترك أسرى في زنازين أخرى دون تقييد ، أفاد (86) أسيراً من مجموع الاسرى الذين تمت زيارتهم بمعسكر عوفر، بأنّهم مقيّدون طوال الوقت، هؤلاء الأسرى لا يتمتّعون بأيّة لحظة راحة، وحُرموا من التحرّك في أبراشهم، وقُيّدت حركتهم لدرجة تمنعهم أحياناً من تغيير وضعيّة نومهم، وعند سؤال أحد المعتقلين عن سبب هذه القيود تعرّض لضرب مبرح، هذا ولا يتمّ فكّ هذه الكلبشات إلّا مرّات معدودة منذ بداية الاعتقال. وبينما يترقّب الأسرى اليوم الذي سيتحرّرون به من الاعتقال غير الشرعيّ، والعذاب اليوميّ الذي يعيشون به، يترقّبون أيضاً تحرير أيديهم من هذه القيود التي لا تُكبّل أيديهم فقط، بل تثقل أرواحهم أيضاً.

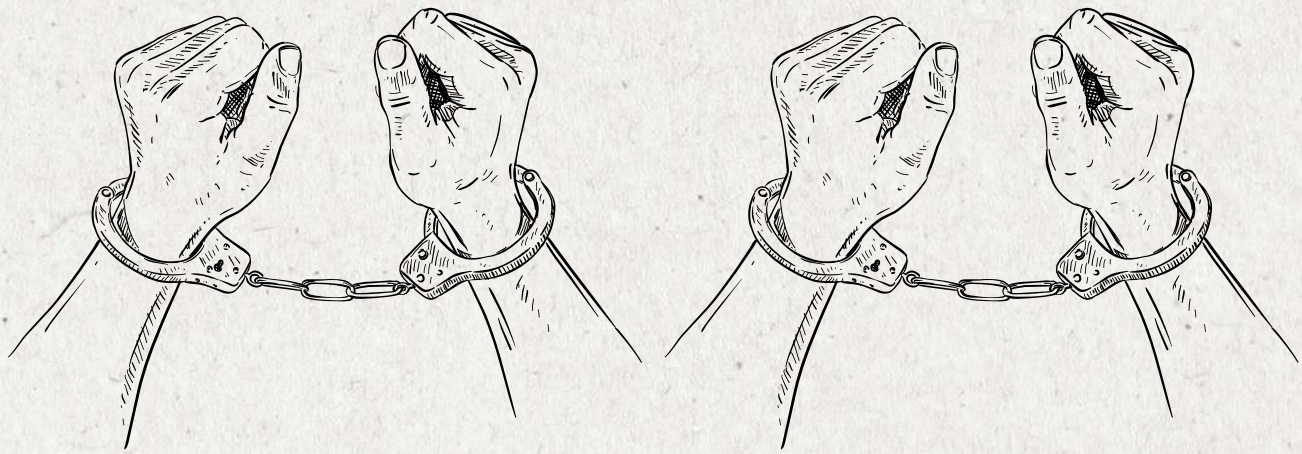

أفاد بعض الأسرى أنّ هناك أقفالاً بألوان معيّنة على أبواب الغرف، وترمز إلى تكبيل الأسرى أو عدمه، حيث أشار الأسير (أ، ز) قائلاً:

> "يوجد لدينا في القسم غرف مفكوك عنها الكلبشات، ويتمّ دهن قفل الباب باللون الأبيض، وباقي الغرف يكون لون القفل أسود، وهذا يعني أنّ الأسرى مكلبشين، وأغلب الغرف الشباب فيها مكلبشين، وفي القسم عندي 14 غرفة ينقسموا إلى غرفة للعقوبات، و3 غرف بدون كلبشات، والباقي بكلبشات"22.

تحدّ القيود من حركة الأسرى إلى الحدّ الأدنى، حيث إنّهم لا يتمكّنون من تحريك أيديهم براحة، وعبّر جزء كبير منهم عن معاناتهم التي سبّبها التكبيل، حيث إنّ قسماً منهم أُصيب في أوجاع في الرقبة والأكتاف بسبب التكبيل، ووجود أيديهم في الوضعيّة ذاتها طوال النهار.

وتظهر حالة الأسير المريض (أ، ح) صعوبة وقمعيّة التكبيل المستمرّ، حيث إنّه يصاب بتشنّجات قويّة في جسده، ونظراً لأنّه مكبّل اليدين طوال الوقت، فعند إصابته بهذه التشنّجات يفقد السيطرة على جسده، ويبدأ جسده بالتحرّك بشكل لا إراديّ وبشكل عشوائيّ، ويقوم بشدّ جسده وذراعيه بقوّة حتّى تنتهي النوبة، ونظراً لكونه مكبّلاً عندما يتعرّض لهذه النوبات تحتكّ يداه في القيود الحديديّة، وتسبّب له جروحاً ونزيفاً في اليدين؛ ما أدّى إلى حدوث انتفاخ والتهاب شديدين في المعصمين23. ولم يعانِ الأسير (أ، ح) وحده من التكبيل، بل شرح عدد كبير من الأسرى عن الندوب والجروح التي تسبّبت في التهابات لاحقاً؛ بسبب إهمالها من قبل إدارة المعتقل.

22 زيارة محامي الدفاع للأسير (أ، ز) في معسكر عوفر بتاريخ 6 آب 2024

23 زيارة محامي الدفاع للأسير (أ، ح) في معسكر عوفر بتاريخ 24 أيلول 2024.

العدد في معسكر عوفر

العدد هو إجراء يقوم به السجّانون في السجون ومنشأة الاعتقال بشكل روتينيّ لكي يتمّ عدّ الأسرى، وغالباً ما كان يحصل هذا الإجراء 3 مرّات في اليوم، بحيث يدخل السجّانون إلى الغرف، ويقف الأسرى ويتمّ إجراء العدد بشكل سريع. أمّا بعد السابع من أكتوبر فقد حدث تغيير على معالم العدد في السجون وتضمن ذلك معسكر عوفر. فأصبح الجنود يقومون بالعدد 3 مرّات بالحدّ الأدنى يوميّاً، ويجبرون الأسرى على الانبطاح على بطونهم طوال فترة العدد، ويجبرونهم على ثني رؤوسهم باتّجاه الأرض، ويبقون في هذه الوضعيّة حتّى انتهاء العدد الذي يستمرّ ساعة أو ساعتين وأكثر في بعض الأحيان.

لا يغيب التنكيل عن المشهد حتّى أثناء عمليّة العدد، حيث أفاد أحد الأسرى أنّالسجانون كانوا يجبرونهم على مدّ أيديهم من فتحة الأشناف، ويتمّ ضرب الأسرى في الدبسة على أيديهم، وأفاد الأسير (ط، ع) قائلاً: "أثناء العدد نكون واقفين، وينادي الجنود على أسماء الأسرى ونخرج أيدينا من الباب، ويتم ضربنا في الدبسة ونرجع بعدها نركع على الأرض"24. وأشار أسيرٌ آخر أنّ السوار الأزرق الذي يحتوي على أرقام معيّنة والذي كان قد تمّ تعريف الأسرى به في بداية الاعتقال كان لا يزال يُستخدم في عمليّة العدد في معسكر عوفر، حيث صرّح الأسير (م، ر) قائلاً: "4 مرّات يوميّاً ننبطح على الأرض، ويقف السجّانون ي خلف الباب وينظرون من الفتحة على السوار البلاستيكيّ"

22 زيارة محامي الدفاع للأسير (أ، ز) في معسكر عوفر بتاريخ 6 آب 2024 23 زيارة محامي الدفاع للأسير (أ، ح) في معسكر عوفر بتاريخ 24 أيلول 2024.

25 زيارة محامي الدفاع للأسير (م، ر) في معسكر عوفر بتاريخ 22 تموز 2024

لا يكتفي الجنود بالتنكيل والآلام الشديدة التي يسبّبها الانبطاح أو الجلوس بوضعيّات معيّنة، مثل الجلوس على الركب، أو القرفصاء لساعات طويلة حتّى انتهاء عمليّة العدد في القسم جميعه وليس فقط في الغرفة، بل يتعدّى الأمر ذلك ويقوم الجنود بالاعتداء على الأسرى بالضرب أثناء عمليّات العدد، حيث أفاد الأسير (خ، ت) قائلاً: "خلال التفتيش يقومون بخبطنا بالحائط، وقام أحد الجنود بضربي على رأسي"26. وتتمّ هذه الاعتداءات على الرغم من وجود عدد كبير من الأسرى في غرف ذات كاميرات؛ ما يؤكّد عدم وجود أيّة نيّة لمحاسبة الجنود ومساءلتهم على مختلف الاعتداءات التي يقومون بها بحقّ الأسرى.

ظروف اعتقال الأسير (م، ص) في معسكر عوفر

اعتقل المواطن (م، ص) بتاريخ 16/4/2024 عندما كان متّجهاً من الضفّة الغربيّة إلى الأردن، حيث جرى اعتقاله من الجسر، ونقل إلى معسكر للجيش الإسرائيليّ داخل مدينة أريحا، حيث مكث ساعات عدّة، واقتادوه بعدها إلى معسكر عناتوت، وفور دخوله إلى عناتوت قابله ضابط إسرائيليّ، وسأله أسئلة عدّة، وحينها أفاد (م، ص) أنّه يعاني من مرض الروماتيزم، وأنّه يتعالج في الضفّة الغربيّة ودون الإبر العلاجيّة لا يستطيع المشي. احتُجز (م، ص) في عناتوت لمدّة 40 يوماً تقريباً، وبعد ذلك نُقل إلى معسكر عوفر حيث قضى الفترة الأطول من اعتقاله.

في اليوم المخصّص لنقل (م، ص) مع مجموعة من الأسرى من معسكر عناتوت إلى معسكر عوفر، دخل حوالي 30 عنصراً من السجّانين بلباس الجيش الزيتيّ، جميعهم مقنّعون ومدرّعون ، باشروا بتقييد الأسرى إلى الخلف من اليدين، وقيّدوا كلّ أسيرين معاً في سلاسل حديديّة من الرجلين، وعصّبوا أعين الأسرى ووضعوهم في باص يتّسع لـ50 راكباً. أجلسوهم في الباص وأجبروهم على الجلوس بوضعيّة حني الرأس بين الرجلين، ومع تحرّك الباص بدأ الاعتداء على الأسرى حتّى وصلوا معسكر عوفر.

26 زيارة محامي الدفاع للأسير (خ، ت) في معسكر عوفر بتاريخ 10 أيلول 2024

ولدى وصولهم معسكر عوفر وفور إنزال الأسرى من الباص بدأ الجنود بضربهم بأيديهم لكمات، وتجدر الإشارة إلى أنّ الجنود كانوا يرتدون كفوف عظم، وأثناء الاعتداء قام الجنود بشتم الأسرى بكلمات بذيئة. ولكي يضاعفوا من معاناة الأسرى وهم مكبّلو الأرجل تعمّد الجنود جعلهم يسيرون بشكل غير متوازٍ حتّى تحتكّ القيود الحديديّة في أقدامهم، وقام الجنود بإفلات الكلاب البوليسيّة على الأسرى لتباشر بالعواء عليهم.

بعد انتهاء الاعتداء أجلسوا الأسرى على أرضيّة فوق "حصمة"، وأجبروهم بالجلوس على الركب حوالي ساعتين، وخلال هذه الساعات تعرّضوا إلى ضرب عشوائيّ من قبل الجنود. وبعد الانتظار جرى نقل كلّ أسير على انفراد إلى غرفة التفتيش، فكّوا قيود (م، ص) لكنّهم أبقوا على تعصيب عيونه، وجرى تفتيشه تفتيشاً دقيقاً، وأثناء التفتيش تمّ الاعتداء عليه بالضرب مرّة أخرى. وأفاد (م، ص) بخصوص التفتيش قائلاً: "ضربوني كفوف على ظهري، وكانوا "يتمسخروا" وفي هذه الأثناء سمعت صوت مجنّدات داخل الغرفة. بعد الانتهاء من التفتيش أعطوني بنطال وبلوزة ثمّ اقتادونا إلى الغرف"27.

احتُجز (م، ص) داخل غرفة عبارة عن (كونتينرات) باطون جديدة "مركبّة تركيباً"، لا يوجد فيها أيّ مقوّم من مقوّمات الحياة فهي خالية تماماً لا تحتوي إلّا على الأبراش وحمّام مع دوش، يتمّ توصيل المياه بالدوش مرّة كلّ أسبوعين لكي يتمكّن الأسرى من الاستحمام. يحتوي القسم الذي احتُجز فيه (م، ص) على 7 غرف، واحتُجز في زنزانة برفقة 18 أسيراً، وكانت تحتوي على 10 أسرّة فقط. يبقى الأسرى في الغرف الأخرى مقيّدين طوال الوقت، أمّا الغرف التي احتُجز بها (م، ص) كانت دون تقييد، ولكن في القسم حتّى "الشاويش" كان يوزّع الطعام وهو مقيّد للأمام28.

وفيما يخصّ الطعام في معسكر عوفر فهو سيّء الجودة وقليل الكميّة، ولا يوجد فورة نهائيّاً. أمّا الحمّام فلا يوجد فيه لا محارم ولا شيء، وكنّا ندخل مع قارورة مياه لنغتسل. الصابونة ليست دائماً متوافرة، ويحضرونها بكميّات قليلة جدّاً. كانوا يحضرون قشّاطة مرّة كلّ أسبوع، لكن دون سائل تنظيف. كانوا يحضرون لنا ملابس داخليّة جديدة مرّة كلّ أسبوع، أمّا البنطال فمرّة كلّ أسبوعين. طوال الوقت كانوا يخبطون على الأبواب لإزعاجنا.

27 مقابلة هاتفيّة أجرتها مؤسّسة الضمير مع الأسير المحرر (م، ص) في تاريخ 21 تموز 2024

28 أحد الأسرى الذي يتم اختياره من قبل إدارة المعتقل ليقوم ببعض أعمال المساعدة، كتوزيع الطعام ومساعدة الأسرى المرضى وغيره

تعرّض (م، ص) هو وباقي الأسرى في الزنزانة إلى اعتداء من قبل السجّانين وذلك في اليوم التالي لوصولهم إلى المعسكر، حيث حضر أحد السجّانين تحديداً في ساعات الصباح عند "العدد"، وأمر الأسرى بالانبطاح على بطونهم، وإنزال رؤوسهم للأسفل، ثمّ مباشرة اقتحم عدد كبير من الجنود الغرفة، قيّدوا الأسرى إلى الأمام وسحبوهم خارج الغرفة ودون إنذار بدأوا بالاعتداء عليهم بالضرب على جميع أنحاء الجسد، وكان بعض الجنود ملثّمين ، وبعد الاعتداء نقل الجنود الأسرى إلى غرفة خالية بالقسم ذاته ليتمّ احتجازهم حوالي ساعتين، وفور عودتهم إلى غرفتهم وجدوا أنّ الجنود قاموا ببعثرتها بالكامل.

في معسكر عوفر العدد من(3) إلى (5) مرّات يوميّاً، وفي كلّ مرّة يجبر الأسرى على الانبطاح أرضاً على بطونهم، وهذه الوضعيّة لا تقتصر فقط على العدد، بل يُجبر الأسرى على الانبطاح بالوضعيّة ذاتها عندما يمرّ أيّ أحد من موظفّي المعسكر حتّى وإن كان الطبيب ويقول (م، ص) أنّهم كانوا أحياناً يبقون بوضعيّة الانبطاح مدّة نصف ساعة.

احتُجز الأسير (م، ص) في معسكر عوفر ما يقارب الشهر، وكان يتعرّض هو وباقي الأسرى المحتجزين معه إلى اعتداءات من قبل السجّانين تقريباً كلّ يومين، وأحياناً يكون الضرب داخل الغرفة عند العدد وأحياناً خارجها. وأفاد (م، ص) بخصوص أحد الاعتداءات التي تعرّض لها أثناء احتجازه في معسكر عوفر قائلاً: "تقريباً بعد أسبوع من نقلي إلى سجن عوفر حضرت وحدة القمع في ساعات الصباح، ونادوا على اسمي أنا و4 شباب، قيّدونا للأمام وعصّبوا أعيننا، وقيّدوا كلّ أسيرين مع بعضهما البعض بقيود حديديّة في الرجلين، ثمّ اقتادونا مشياً إلى ساحة خارجيّة تحت أشعّة الشمس، ووضعونا داخل قفص شبك بمساحة تقريبا 3*4 مترات، أرضيّته حصمة ووضعونا على الرُّكب والرأس للأسفل (وضعيّة سجود) طبعا طوال الطريق إلى القفص ضرب لكمات وشلاليط على كافّة أنحاء الجسد"29 وأكمل قائلاً: "كلّ مرّة كان يتمّ قمعنا في القفص كانت تستمرّ من 2-3 ساعات، أحد الضربات كانت على أضلاعي من جهة اليمين كانت مؤذية واستمرّ الألم حوالي 5 أيّام"30.

29 مقابلة هاتفيّة أجرتها مؤسسة الضمير مع الأسير المحرّر (م، ص) في تاريخ 21 تموز 2024

30 المصدر السابق.

ولم يتعرّض (م، ص) إلى الأذى الجسديّ فقط في معسكر عوفر، بل تعرّضوا لأذى نفسيّ كبير، حيث عبّر (م، ص) أنّه في أحد القمعات التي تعرّضوا لها، أخرجهم السجّانون من الغرف إلى ساحة السجن، وكان معهم رجل يبلغ من العمر حوالي 55 عاماً، وأمر أحد السجّانين المسنّ أن يقوم بالعواء حيث قال (م، ص): "لأنّه كبير بالسنّ قلت للجنديّ إنّني سأقوم بالعواء بدلاً عنه، وبعدما قمت بالعواء أمره الجنديّ أن يقوم هو أيضاً بالعواء، وهذا كان الأكثر إذلالاً إلى جانب الشتائم"[31].

تلخص ظروف الاحتجاز والاعتداء التي شرحها الأسير المحرّر (م، ص) ما يعيشه الأسرى في معسكر عوفر، حيث إنّهم يحتجزون في ظروف لاإنسانيّة لا تراعي الحدّ الأدنى من متطلّبات المعيشة الآدميّة، ويتعرّضون بشكل مستمرّ إلى الاعتداء من قبل السجّانين، والكوادر العاملة تحت مظلة المعتقل كافّة بما في ذلك الأطبّاء والممرّضين.

الصحة كأداة للاضطهاد: الجرائم الطبية في معسكرات الأسر

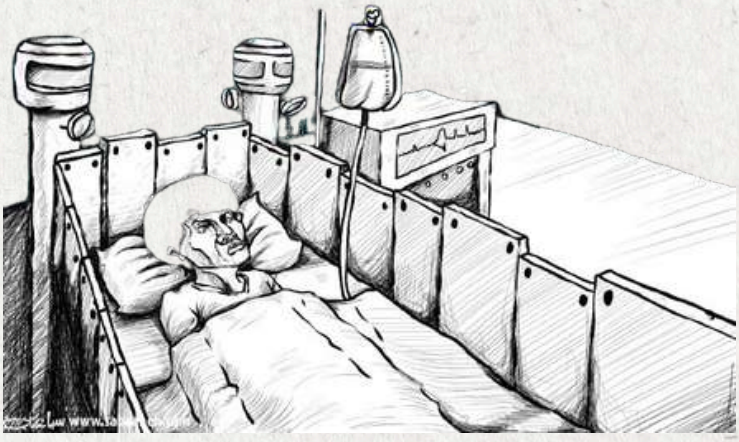

ترتكب السلطات الإسرائيليّة انتهاكات للحقّ في الحياة، والحقّ في الصحّة بحقّ الأسرى الفلسطينيّين في مختلف السجون، وذلك لم يبدأ مع السابع من أكتوبر، بل لطالما كانت الجرائم الطبيّة سياسة ثابتة، وممنهجة في السجون الإسرائيليّة لقتل الأسرى بشكل بطيء.

31 المصدر السابق

تفاقمت هذه السياسة بشكل غير مسبوق بعد السابع من أكتوبر وتعمّدت سلطات الاحتلال إهمال الأسرى طبيّاً في كافة المعسكرات وخاصة في معسكر عوفر. ومع عمليّات الاعتقال الجماعيّ التي تمّ تنفيذها من قبل قوّات الاحتلال، قد تمّ اعتقال مئات المواطنين الذين يعانون من أمراض مزمنة، مثل: أمراض القلب، والسكريّ، والضغط، وأمراض الكلى والكبد وغيرها، وأيضاً تمّ اعتقال عدد كبير من المواطنين مبتوري الأطراف. وعلى الرغم من ذلك قامت إدارة المعسكر باتّباع الجرائم الطبيّة بشكل ممنهج في هذا المعتقل، وذلك في ظلّ حرمان الأسرى من الخروج إلى عيادة المعسكر، إضافة إلى الحرمان القاطع من تقديم أيّ علاج عن أي مرض بغضّ النظر عن درجة خطورة المرض، أو تأثيره على سير العمليّات الحيويّة في الجسد. ومن أشكال الجرائم الطبيّة القاتلة التي ظهرت آثارها بشكل واضح على الأسرى حرمانهم بشكل قاطع من تلقّي العلاج بالمستشفيات المدنيّة متذرّعين بحالة الطوارئ، ومنعهم من الحدّ الأدنى من الرعاية الصحيّة التي كانت متوفّرة ما قبل السابع من أكتوبر داخل السجون، والمتمثّلة في الخروج إلى عيادة السجن الداخليّة؛ الأمر الذي أدّى إلى تدهور كبير في حالة الأسرى المرضى، وألحق بهم مزيداً من الألم والمعاناة، وتعرّضهم للقتل والموت بسبب ذلك.

وتنبع هذه الانتهاكات للحقّ في الرعاية الصحيّة اللازمة في السجون الإسرائيليّة من عدم الاكتراث بحرمة الحياة والكرامة الإنسانيّة للأسرى. ويسهل حدوث هذه الجرائم الصلاحيّاتُ الممنوحة لمسؤولي السجون والجنود المسؤولين عن الأسرى بلا حسيب ولا رقيب، وسط الإفلات من العقاب عن التعذيب وغيره من ضروب المعاملة السيّئة والانتهاكات الأخرى ضدّ الأسرى.

حالة الأسير (أ، ش)

في ظل جريمة الإبادة الجماعيّة التي تمارسها قوّات الاحتلال على القطاع، باشرت باستهداف المنازل بالغارات الجويّة فوق رؤوس ساكنيها؛ ما أدّى إلى سقوط أعداد كبيرة من الشهداء والجرحى، وكان منزل المواطن (أ، ش) أحد المنازل المستهدفة، وعند الاستهداف كان (أ، ش) يتواجد في المنزل؛ ما أدّى إلى حدوث إصابات بليغة في جسده، ونُقل إلى مشفى ناصر داخل القطاع لتلقّي العلاج، ولكن بُترت كلتا رجليه بفعل الإصابة، وأثناء تواجده في المشفى لتلقّي العلاج جرى اعتقاله عن سرير العلاج بعد إجراء عمليّات البتر32.

تعرّض الجريح (أ، ش) أثناء عمليّة الاعتقال للاعتداء بالضرب المبرح من قبل جنود الاحتلال الذين اقتحموا المشفى، وجرى نقله مع عدد من المواطنين الذين كانوا متواجدين في المشفى في سيّارات شحن إلى معسكر "سديه تيمان". ولم يكتفِ الجنود بضرب المواطنين في المشفى، بل تمّ الاعتداء عليهم أيضاً أثناء عمليّة النقل، وذلك بالرغم من أنّ قسماً كبيراً منهم تمّ اعتقالهم من أسرّة العلاج داخل المشفى.

لم يكترث جنود الاحتلال بالوضع الصحيّ الصعب الذي كان يعاني منه الأسير (أ، ش)، وفور وصولة إلى المعسكر نُقل إلى التحقيق، أو ما يُعرف بغرفة الديسكو، واحتُجز فيها ما يقارب الأسبوع، وخلال هذه الفترة تعرّض للاعتداء بالضرب المبرح على جميع أنحاء جسده بما فيها رجلاه المبتورتان التي كانت ولا تزال الغرز بها لأنّ (أ، ش) لم يتمكّن من استكمال العلاج وفكّ الغرز بسبب اعتقاله. وفي ظلّ جميع هذه الاعتداءات المتتالية التي تعرّض لها (أ، ش) منذ لحظة الاعتقال مروراً باحتجازه في معسكر "سديه تيمان" ونقلاً الى معسكر عوفر، لم يراعِ الاحتلال الحالة الطبيّة الصعبة التي يعاني منها، ولم يقدّموا له أيّ علاج او متابعة طبيّة، مثل الفحوصات وغيرها من الإجراءات الطبيّة التي تلزم أيّ جريح في أيّ مرحلة من مراحل الاعتقال والاحتجاز.

يمكث الأسير (أ، ش) في معسكر عوفر، في زنزانة اعتقال مع عدد من الأسرى، ثلاثة منهم مبتورو الأرجل، وذلك بفعل إصابات بليغة تعرّضوا لها أثناء الحرب، ومع ذلك لم يتمّ توفير أيّ من الأدوات التي يجب توفيرها لتساعدهم في الحركة والتنقّل، مثل العكّازات أو الكراسي المتحركة؛ ما يجبر باقي الأسرى الأصحّاء المحتجزين معهم بالغرفة ذاتها على تحمّل مسؤوليّه رعايتهم ومساعدتهم في إنجاز أبسط المهمّات اليوميّة، كالتنقّل داخل الغرفة، أو الدخول إلى الحمّام وغيرها.

32 زيارة المحامي للأسير (أ، ش) في معسكر عوفر بتاريخ 26 أيلول 2024

هذا وتقوم قوّات الاحتلال بالتعامل معهم كباقي الاسرى من حيث القمع، والضرب، والانبطاح، فأثناء القيام بالتفتيشات المفاجِأة للغرف، أو القيام بالعدد يجبرهم السجّانون على الانبطاح أرضاً على بطونهم، والبقاء بهذه الوضعيّات لفترات طويلة، دون الاكتراث بكونهم مصابين، ومبتوري الأرجل، وغير قادرين على التحرّك بحريّة.

ويُعدّ (أ، ش) واحداً من مئات الأسرى الجرحى الذين اعتُقلوا من أسرّة العلاج في المشافي بقطاع غزّة، أو الذين تمّ اعتقالهم أصحّاء، وبفعل شدّة الاعتداءات التي تعرّضوا لها من قبل قوّات الاحتلال أُصيبوا بجراح تتفاوت ما بين جراح متوسّطة إلى جراح خطيرة أودت بحياة عدد من الأسرى. وفي ظلّ وقوع عدد من الوفيات في صفوف الأسرى من الجرحى إلّا أنّ إدارة المعسكرات استمرّت في سياسة الإهمال الطبيّ المتعمّد، وتمسّكت في رفضها القاطع لتوفير أيّ علاج للأسرى حتّى الذين يعانون من أمراض مزمنة.

ولا يكتفي جنود الاحتلال بعدم تقديم العلاج للمعتقلين المرضى، بل ويقومون بالاستهزاء بهم ، ففي أحد الحالات التي شارف معتقل فيها على الوفاة نتيجة اشتداد المرض، قام المعتقلون في الغرفة بطلب طبيب بشكل طارئ، فما كان من جنود الاحتلال إلّا أنهم استهزؤا بهم وقالوا لهم: "شربوه ماء بطيب"33.

ومن خلال متابعات مؤسّسة الضمير تمّ ملاحظة نهج في سياسة الجرائم الطبيّة المتّبعة بحقّ الأسرى، فمع وجود أعداد كبيرة من الأسرى التي تعاني من أمراض الضغط، والسكّر، والقلب، والأمراض المعويّة والقولون العصبيّ، وغيرها من الأمراض التي تدخل من ضمنها أمراض الأعصاب والأمراض النفسيّة، لكنّ إدارة معسكر عوفر تتجاهل بشكل تامّ جميع هذه الحالات، ولا يتمّ توفير أيّ نوع من أنواع العلاج بشكل دوريّ باستثناء الأنسولين لمرضى السكر، وبعض الأمراض المزمنة الأخرى، مثل أمراض القلب، وأمراض الضغط ولكنّ هذه الأدوية لا يتمّ توفيرها لجميع المرضى، بل فقط للذين تُعدّ حالاتهم خطرة.

وشكلٌ من نهج سياسة الإهمال الطبيّ ظهرت في تقديم العلاج في معسكر "سديه تيمان" لبعض الأسرى المرضى الذين يعانون من التهابات، أو أمراض نفسيّة وعصبيّة وغيرها من الأمراض، ولكنْ بعدما يتمّ نقل الاسرى إلى معسكر عوفر يتمّ قطع الأدوية عنهم بشكل نهائيّ. وقد أفاد غالبيّة الأسرى بأنّ الدواء المقدّم في معسكر عوفر هو حبّة المسكن (الأكامول) التي يتمّ توفيرها من قبل السجّانين بعد محاولات عدّة، وإصرار من الأسرى للتخفيف من معاناتهم من أمراض وأوجاع مختلفة. وجميع هذا لا يدخل في إطار الأوجاع التي تسبّبها الممارسات القمعيّة من جنود الاحتلال، منها التكبيل الشديد الذي سبّب جروحاً وندوباً للأسرى في أيديهم وأرجلهم التي تُركت جميعها دون علاج.

33 زيارة المحامي للأسير (أ، أ) في معسكر عوفر بتاريخ 22 كانون أول 2024

عندما يجتمع الألم الجسديّ مع الألم النفسيّ، حالة الأسير (ت، ش)

في إطار الاستهداف العشوائيّ لمرافق الحياة كافّة في قطاع غزّة منذ السابع من أكتوبر، دخلت المراكز الطبيّة والطواقم الطبيّة داخل دائرة الاستهداف الإسرائيليّ، حيث قامت قوّات الاحتلال باستهداف معظم المستشفيات، والمراكز والعيادات الطبيّة، وإخراجها عن الخدمة، فضلاً عن اعتقال وتعذيب العديد من أفراد الطواقم الطبيّة. وتعرّض قسم كبير من الطواقم الطبيّة الى الاستهداف بالاعتقال.

وكان المسعف (ت، ش) من بين الطواقم الطبيّة الذين تعرّضوا للاعتقال، حيث جرى اعتقاله أثناء مروره بسيّارة الإسعاف عن أحد الحواجز العسكريّة المقامة داخل القطاع، وجاء الاعتقال بالرغم من ارتدائه الزيّ الخاصّ بالمسعفين الذي يعطيهم حصانة دوليّة. وبعدما تمّ اعتقاله، اقتادوه إلى معسكر "سديه تيمان"، ومكث فيه فترة، وبعدها تمّ نقله إلى معسكر عوفر.

أفاد الأسرى أنّه لكي يُعرض الأسير على طبيب يجب أن يكون قد وصل إلى حافّة الموت، ويوجد خطر على حياته، ويعاني من أوجاع لا تُحتمل، ولكنّ الأسير (ت، ش) قد عُرض على طبيب أكثر من مرّة بسبب معاناته من أكثر من مرض، جزء منها أمراض جسديّة، والأخرى أمراض نفسيّة. حيث إنّه في شهر نيسان شعر بوجود كتل في صدره من الجهة اليمنى، وعندما خرج لتتمّ معاينته من قبل الطبيب، تبيّن أنّه يعاني من كتل في منطقة الصدر، وأفاد الطبيب بأنّها قد تكون كتلاً سرطانيّة، وأكمل الطبيب أنّه إذا تبيّن أنّها فعلاً كتل سرطانيّة، لن يتمّ علاجه بسبب عدم وجود علاج لهذا المرض في السجن. ومع ظروف الاعتقال أفاد أنّه أصبح يعاني من مشاكل جسديّة، منها ضيق تنفُّس شديد خاصّة أثناء فترة الليل، إضافة إلى إصابته بمرض الجرب الذي لم يتمّ علاجه، ومن ثمّ إصابته بالتهاب في الرجل اليسار ونفخة شديدة.

ومنذ شهر نيسان حتّى شهر أيلول أخذ وزنة بالتناقص بشكل حادّ، حتّى فقد حوالي 35 كيلوغرام من وزنة. ولم تتوقّف مأساته عند هذا الحدّ، بل ويعاني من مغصٍ كلويّ، وعند عرضه على الطبيب أوضح له الطبيب بأنّه يعاني من التهابات، فقاموا بإعطائه 6 حبّات مسكّن (أكامول) فقط لتسكين الألم، ولكنّه لم يتمّ إعطاؤه أيّ علاج، هذا ويعاني أيضاً من ضيق نفس شديد ليلاً، إضافة إلى صعوبة بالرؤية؛ نظراً للتراجع الكبير في نظر عينيه.

هذا ويعاني الأسير (ت، ش) من اضطراب نفسيّ منذ ثمانية أشهر بسبب العدوان الإسرائيليّ على قطاع غزّة، وبالنتيجة اعتاد أن يتناول حبّة منوّم واحدة ليلاً لكي يستطيع النوم، وفي معسكر عوفر قُطع عنه الدواء إلّا أنّه في شهر تمّوز أصبحوا يعطونه دواء مساعداً على النوم، ولكنّ الأسير أفاد بخصوص الدواء قائلاً: "قبل شهرين ونصف أعطوني دواء مساعداً على النوم، وأتناول كلّ يوم حبّة، ولكن الحبّة الواحدة بطلت تعمل مفعول، وأصبحت أقوم بتجميع كلّ حبتين مع بعض وأتناولهم مرّة واحدة، وهكذا أنا بنام يوم اه ويوم لأ"34.

ولم يكن الأسير (ت، ش) الذي يعاني من اضطرابات نفسيّة وأمراض جسديّة فقط، بل يعاني الأسير (م، ش) أيضاً من أمراض نفسيّة وهلوسات تسبّب له حالات متكرّرة من الإغماء، وتعرّض أثناء الاعتقال إلى أحداث صادمة فاقمت من حالته النفسيّة، حتّى أنّه تمّ اعتقاله من مشفى الشفاء وهو على فراش المرض، حيث إنّه كان ينتظر موعداً لإجراء عمليّة الغضروف، ولكنْ تمّ اعتقاله قبل يومٍ من موعدها، فحال الاعتقال بينه وبين إجرائها، ومع ذلك تعرّض للضرب أثناء الاعتقال. ونذكر أنّه تمّ اعتقاله برفقة ابنة المصاب أيضاً، وكان الفصل بينه وبين ابنه في السجن أحد العوامل التي زادت الضغط النفسيّ عليه بشكل كبير.

عند وصول (م، ش) إلى معسكر عوفر عُرض على طبيب، وسأله أسئلة طبيّة عامّة، حيث إنّه يعاني من الضغط والسكّريّ، ونُقل إلى الأقسام، وعلى الرغم من أنّه يعاني من القلق الشديد الذي يسبّب له رؤية هلوسات، وإغماء في بعض الأحيان حيث أفاد للمحامي: "بعد وصولي إلى عوفر أُغمى عليّ مرّتين، ولم يحضر الطبيب، ولا يعطوني الحبوب اللازمة للحدّ من حالتي النفسيّة، حيث إنّي أعاني من القلق وبيكون مثل كأنّه في حدا بدو يخنقني"35. وبعدما تعرّض الأسير (م، ش) الذي تمّ اعتقاله في تاريخ 18/3/2024 لا يزال حتّى اللحظة يطرح على نفسه تساؤلاً، كما غيره العشرات من الأسرى قائلاً: "أنا عمري 62 عاماً لماذا أتبهدل هيك؟"36.

إنّ الإصابات النفسيّة تُعدّ إصابات غير مرئيّة قد يغفل عنها بسهولة، إلّا أنّها إصابات بالغة الخطورة، فهي تؤثّر على الأشخاص نفسيّاً وجسديّاً أيضاً، وبالتالي كغيرها من الانتهاكات والجرائم التي تقوم دولة الاحتلال بارتكابها، عليها أن تتوقّف، ويجب أن تلتزم دولة الاحتلال بقواعد القانون الدوليّ والاتّفاقيّات الدوليّة، وتوفير خدمات نفسيّة متخصّصة للأسرى تشمل العلاج النفسيّ والدعم النفسيّ الاجتماعيّ؛ لمساعدتهم في التعامل مع الضغوط النفسيّة الناتجة عن الاعتقال.

34 زيارة المحامي للأسير (ت، ش) في معسكر عوفر بتاريخ 23 أيلول 2024

35 زيارة المحامي للأسير (م، ش) في معسكر عوفر بتاريخ 24 تموز 2024

36 المرجع السابق

معاناة مضاعفة لمرضى الأعصاب في معسكر عوفر، حالة الأسيرين (أ، س) و (أ، ح)

يعاني الأسير (أ، س) من مرض الصرع الذي يسبّب له حالات نوبات متكرّرة، فيعاني المصابون بهذا المرض من حركات لاإراديّة تأتي على شكل نوبات قد تشمل جزءاً من الجسم (جزئيّة) أو الجسم كلّه (عامّة)، ويصاحبها أحياناً فقدان الوعي، وفقدان القدرة في التحكّم في وظائف الأمعاء أو المثانة، ويعاني المصابون بهذا المرض من إصابات جسديّة، مثل الكسور، والكدمات بسبب هذه التشنّجات. ويعاني أيضاً المصابون بهذا المرض من بعض المشاكل النفسيّة، كمشاكل القلق أو الاكتئاب؛ ما يؤدّي إلى صعوبة في التكيّف مع الحياة اليوميّة، وبالتالي فإنّ أخطار الوفاة المبكّرة بين المُصابين بالصرع تبلغ ثلاثة أضعاف معدلها بين عامّة الناس، وعليه تتطلّب طبيعة هذا المرض رعاية خاصّة على الصعيدين الجسديّ والنفسيّ37.

فيحتاج الأشخاص المصابون بالصرع إلى العلاج بالأدوية المضادّة للنوبات، وقد يؤدّي الامتناع المفاجئ عن تناول هذه الأدوية إلى عواقب مهدّدة للحياة، بما في ذلك حالة الصرع المستمرّ التي تزيد فيها مدّة النوبات عن 30 دقيقة، أو تتتابع دون أن يتعافى الشخص في الفترات الفاصلة بينها، ولذلك يلزم توافر الأدوية الخاصّة بمرض الصرع بشكل مستمرّ لضمان عدم توقّف أو انقطاع العلاج38، خلافاً لما قامت به إدارة معسكر عوفر، التي امتنعت عن تقديم الأدوية الخاصّة بمرض الصرع للأسير (أ، س) على الرغم من أنّه حصل على هذه الأدوية في فترة اعتقاله الأولى في "سديه تيمان"، وعلى الرغم من طلباته المتكرّرة لكي يتمّ توفير العلاج إلّا أنّهم أيضاً رفضوا بذريعة عدم وجود دكتور مختصّ بالأمراض العصبيّة في المعسكر39؛ ما يخالف القواعد النموذجيّة الدنيا لمعاملة السجناء التي أوجبت توفير طبيب في كلّ سجن، كما ويعرّض حياة الأسير المذكور للخطر40.

ونظراً لأنّ الحالات النفسيّة كالاكتئاب والقلق تؤدّي إلى زيادة وتيرة نوبات الصرع، ويحتاج المرضى إلى رعاية نفسيّة خاصّة للحدّ من التوتّر والإجهاد، إلّا أنّ إدارة المعسكر تتعمّد وضع احتجاز الأسرى في ظروف نفسيّة صعبة؛ الأمر الذي يؤدّي إلى زيادة الضغط النفسي على الأسرى خاصّة المرضى منهم، وبشكل خاصّ ما يتعرّض له الأسرى من إجهاد نفسيّ وجسديّ أثناء التحقيق، إضافة إلى الإجراءات التعسّفيّة المتّبعة من قبل إدارة المعسكر المتمثّلة في سحب الفرشات، والحرمان من الفورة والنظافة الشخصيّة، وغيرها، فتجتمع هذه الظروف معاً وتؤدّي إلى تدهور في صحّة الأسرى النفسيّة؛ ما يزيد من عدد النوبات التي قد تصيب المرضى.

38 منظّمة الصحّة العالميّة، "مكافحة الصرع"، 2019، MER-MSD--19.2-
https://iris.who.int/bitstream/handle/10665/325440/WHOra.pdf?ua=1a

39 زيارة المحامي للأسير (أ، س) في معسكر عوفر بتاريخ 21 أكتوبر 2024.

40 المادّة (22/1) من القواعد النموذجيّة الدنيا لمعاملة السجناء والتي نصّت على: "يجب أن توفّر في كلّ سجن خدمات طبيب مؤهّل واحد على الأقل، يكون على بعض الإلمام بالطب النفسيّ. وينبغي أن يتمّ تنظيم الخدمات الطبيّة على نحو وثيق الصلة بإدارة الصحّة العامّة المحليّة أو الوطنيّة. كما يجب أن تشتمل على فرع للطبّ النفسيّ تشخيص بغية حالات الشذوذ العقليّ وعلاجها عند الضرورة".

وتختلف الأسباب التي تؤدّي إلى حدوث نوبات مع الأسرى، فيعاني الأسير (أ، ح) من ورم في الدماغ، يتعرّض على أثره لتشنّجات يوميّة قد تصل إلى 3 نوبات في اليوم الواحد، وقد تؤدّي هذه التشنّجات إلى بلع اللسان والوفاة. ومع الخطورة البالغة على حياة الأسير (أ، ح) إلّا أنّه في ظلّ سياسة الإهمال الطبيّ التي تتّبعها إدارة المعسكر التي لا تتجلى فقط في حرمان الأسرى من العلاج، بل تظهر بوضوح خلال المماطلة في تقديم العلاج، أو تقديم العلاج بشكل متقطّع. وهذا ما حصل مع (أ، ح) إذْ قامت إدارة المعسكر بتوفير الأدوية التي يحتاجها الأسير بشكل متقطّع وبكميّات قليلة خلافاً لما يحتاجه، فقد أفاد (أ، ح) للمحامي قائلاً: "قبل يومين ما أعطوني دواء بحجّة أنّ الدواء خلص من عندهم، وهذا اليوم أعطوني، بأخذ 3 حبّات في اليوم هنا، لكن قبل اعتقالي كنت آخذ 5 حبّات في اليوم"41.

41 زيارة محامي الدفاع للأسير (أ، ح) في معسكر عوفر بتاريخ 24 أيلول 2024

الجرائم الطبيّة في القانون الدوليّ

تطرّقت القواعد النموذجيّة الدنيا لمعاملة السجناء، في الموادّ 22-26 إلى الخدمات الطبيّة التي يجب أن يتمّ توفيرها للأسرى، وأوجبت تلك القواعد أيضاً توفير عناية خاصّة للنساء والأطفال، وبيّنت بعض التدابير الواجبة لحماية الأسرى، ومن ضمنها فحصهم طبيّاً قبل دخول السجون، ومنع اختلاط المصابين بالأمراض بغيرهم من الأسرى الأصحّاء، وعرضهم على الأطبّاء كلما لزم الأمر، وتقديم تقارير طبيّة دوريّة حول حالتهم الصحيّة، واتّخاذ السجون التدابير اللازمة لتوفير الرعاية الطبيّة اللازمة.

امّا اتفاقيّات جنيف، فقد تناولت حقوق الأسرى والمعتقلين الصحيّة بشيء من التفصيل، حيث أوجبت تقديم الرعاية الصحيّة للأسرى مجّاناً42، فحظرت أيّ فعل يسبب موت أيّ أسير، واعتبرته انتهاكاً جسيماً للاتفاقيّة يوجب فرض عقوبات جزائيّة فعّالة43، إضافة إلى حظر التشويه البدنيّ والتجارب العلميّة التي لا تتطلّبها المعالجة الطبيّة للأسير44.

كما أوجبت اتفاقيّات جنيف الحفاظ على بيئة نظيفة للأسرى، وحماية صحّتهم، وتوفير الخدمات الأساسيّة لهم، كالبيئة النظيفة التي يجب أن يعيشوا فيها، والمرافق واللوازم الصحيّة كافّة الضروريّة للأسرى، ووضعت تلك المسؤوليّة على عاتق الدولة الآسرة45، وحرصت على توفير سبل الحماية الطبيّة كافّة لأسرى الحروب، وألزمت الدولة الآسرة بالمصاريف العلاجية كافّة للأسرى مهما كان نوعها46.

42 مادّة 15 من اتفاقيّة جنيف الثالثة: "تتكفل الدولة التي تحتجز أسرى حرب بإعاشتهم دون مقابل وبتقديم الرعاية الطبية التي تتطلّبها حالتهم الصحيّة مجّاناً".

43 مادّة 129: " تتعهّد الأطراف السامية المتعاقدة بأن تتّخذ أيّ إجراء تشريعيّ يلزم لفرض عقوبات جزائيّة فعّالة على الأشخاص الذين يقترفون أو يأمرون باقتراف إحدى المخالفات الجسيمة لهذه الاتفاقيّة، المبيّنة في المادّة التالية".

44 مادّة 13: "...لا يجوز تعريض أيّ أسير حرب للتشويه البدنيّ أو التجارب الطبيّة أو العلميّة من أيّ نوع كان ممّا لا تبرّره المعالجة الطبيّة للأسير المعنيّ أو لا يكون في مصلحته".

45 مادّة 29: "تلتزم الدولة الحاجزة باتخاذ كافة التدابير الصحية الضرورية لتأمين نظافة المعسكرات وملاءمتها للصحة والوقاية من الأوبئة".

يجب أن تتوفّر لأسرى الحرب، نهاراً وليلاً، مرافق صحيّة تستوفي فيها الشروط الصحيّة وتراعي فيها النظافة الدائمة... ومن ناحية أخرى ، وإلى جانب الحمّامات والمرشات (الأدشاش) التي يجب أن تزوّد بها المعسكرات، يزوّد أسرى الحرب بكميّات كافية من الماء والصابون لنظافة أجسامهم وغسل ملابسهم..".

46 مادّة 30 من اتفاقيّة جنيف الثالثة والتي توازي المادّة 91 من اتفاقيّة جنيف الرابعة: "توفّر في كلّ معسكر عيادة مناسبة يحصل فيها أسرى الحرب على ما قد يحتاجون إليه من رعاية.. أسرى الحرب المصابين بأمراض خطيرة أو الذين تقتضي حالتهم علاجاً خاصّاً أو عمليّة جراحيّة أو رعاية بالمستشفى ، ينقلون إلى أيّة وحدة طبيّة عسكريّة أو مدنيّة يمكن معالجتهم فيها... تتحمّل الدولة الحاجزة تكاليف علاج أسرى الحرب، بما في ذلك تكاليف أيّ أجهزة لازمة للمحافظة على صحّتهم في حالة جيّدة..".

علاوة على ذلك، فإنّ البروتوكول الأوّل الإضافيّ إلى اتفاقيّات جنيف أوجب عدم المساس بالصحّة والسلامة العقليّة والبدنيّة للأسرى، كما وحظر أيّ إجراء طبيّ لا تقتضيه حالتهم الصحيّة، ولا يتّفق مع المعايير الطبيّة الواجب مراعاتها، وحرص على توفير كلّ سبل الحماية لهم ضد التجارب الطبيّة، حتى لو حصلت برضا الأسير.

يُستخلص ممّا سبق بيانه أنّ الاتفاقيّات الدوليّة أولت أهميّة كبرى لحقوق الأسرى الصحيّة، فقد نظّمتها بشيء من التفصيل، إلّا أنّه وبالرغم من كلّ تلك الحماية فإنّ دولة الاحتلال تنصّلت من تلك الاتفاقيّات، وقامت بانتهاك حقوق الأسرى لاسيّما الصحيّة منها، بل وانتهكتها بأبشع صور الانتهاك، حيث تقوم بحرمانهم من حقوقهم المكفولة بواسطة الاتفاقيّات الدوليّة، في محاولة للنيل من كرامتهم، وإضعاف عزيمتهم، فمنذ السابع من أكتوبر تركّزت الممارسات الإسرائيليّة على انتهاك الحقوق الصحيّة للأسرى الفلسطينيّين، فقد جعلت من الإهمال الطبيّ، ونقص الرعاية الطبيّة، والتعذيب سياسة ممنهجة عقابيّة ولا إنسانيّة مبنيّة على أسس انتقاميّة وعنصريّة، التي تتطلّب تدخلاً فوريّاً من أجل تلك الممارسات، ومحاسبة مرتكبيها.

العنف النفسي

العنف النفسيّ في السجون هو وسيلة قمعيّة تُمارَس لإخضاع الأسرى، وإضعاف إرادتهم من خلال التأثير على حالتهم النفسيّة والعاطفيّة. وتمارِس دولة الاحتلال العنف النفسيّ مع الأسرى بشكل كبير في السجون الإسرائيليّة، ومنذ سنوات طويلة، إلّا أنّ هذا النوع من العنف أخذ منحدراً خطراً بعد السابع من أكتوبر، حيث باشرت قوّات الاحتلال باستخدام العنف النفسيّ مع الأسرى بشكل متصاعد وغير مسبوق بهدف إذلالهم وكسر إرادتهم.

كان عزل الأسرى إحدى طرق العنف التي تعرّض لها الأسرى كافّة والتي طالت أسرى قطاع غزّة أيضاً منذ السابع من أكتوبر 2023، حيث جرى عمليّات عزل انفراديّ لعدد كبير من الأسرى دون مبرّر قانونيّ، وتعرّض باقي الأسرى لسياسة العزل الجماعيّ في زنازينهم، حيث حُرموا من أيّ اتّصال أو تواصل مع عائلاتهم، سواء في الزيارات العائليّة أو من خلال التواصل عبر الهاتف، ودخل ضمن ذلك أيضاً حرمان الأسرى من أيّ اتّصال، او زيارات المحامين لأشهر عدّة، وذلك يضمن زيارات الصليب الأحمر. وأيضاً عمل القائمون على معسكرات الجيش على عزل الأسرى بشكل كامل عن العالم الخارجيّ، فحرموا الأسرى من حقّهم في الحصول على راديوهات، أو على صحف لمعرفة ماذا يدور في العالم الخارجيّ. ونذكر أنّ حرمان الأسرى من هذه الحقوق لا يزال سارياً حتّى كتابة هذا التقرير.

تنوّعت مظاهر هذا العنف في مختلف السجون والمعسكرات، وتضمّن ممارسات من قبل الجنود والسجّانين، مثل: الإذلال، وإجبار الأسرى على شتم أنفسهم، وإجبارهم على النباح مثل الكلاب، وتصويرهم مع العلم الإسرائيليّ، أو إجبارهم على ترديد عبارات مثل "إسرائيل حيّ"، أو تقبيل العلم الإسرائيليّ. وفي حال اعتراض أيّ أسير على القيام بمثل هذه الأفعال كان يتمّ الاعتداء عليه بشكل وحشيّ.

لم يقف العنف النفسيّ عند هذا الحدّ، بل عملت قوّات الاحتلال على ترسيخ فكرة الفوقيّة بين السجّانين والأسرى، فمُنع الأسرى من النظر إلى وجوه أو أعين السجّانين، وأُجبروا على إحناء رؤوسهم عند رؤية أيّ أحد من العاملين في المعسكر، وأُجبروا على الانطباع أرضاً داخل غرفهم عند مرور أحد السجّانين من أمام الغرف. وشرح الأسرى للمحامين أثناء الزيارات التي تمّ تنفيذها لعدد كبير من الأسرى عن الآلام النفسيّة التي تركتها هذه التصرّفات المذلّة في نفوسهم، حيث أفاد الأسير (م، ق) قائلاً: "نجبَر على شتم أنفسنا ونُجبَر أيضاً على النباح"47. وأفاد الأسير (ع، ح) قائلاً: "قبل دخول السجّانين يُجبر جميع مَن في الغرفة على الانبطاح على البطن، ويُمنع النظر إلى السجّانين أو التحدّث إليهم، ومَن يخالف يُضرب ويُعتدى عليه بشكل وحشيّ"48.

ومن خلال زيارات المحامين للأسرى في معسكر عوفر أفاد جميعهم أنّ العنف النفسيّ أصعب بكثير من العنف الجسديّ الذي يتعرّضون له بشكل شبه يوميّ، وردّد بعضهم عبارات تفيد بفقدان الشغف في الحياة، وتمنيّاتهم أن ينتهي العذاب النفسيّ الذي يتعرّضون له بشكل يوميّ والذي يترك أثراً عميقاً في نفوسهم، ويهدف إلى إهانتهم وتجريدهم من إنسانيّتهم، وخلق حالة من الخوف والإذلال لدى جميع الأسرى، وزيادة شعورهم بالعجز والعزلة داخل بيئة القمع التي يعيشون فيها، وتعبيرهم بأنّ المعاملة التي يتلقّونها كانت أسوأ من معاملة الحيوانات. حيث أفاد الأسير (ع، م) قائلاً: "الموت أهون من المعاملة التي نتلقّاها في الاعتقال"49.

47 زيارة المحامي للأسير (م، ق) في معسكر عوفر بتاريخ 16 أيار 2024

48 زيارة المحامي للأسير (ع، ح) في معسكر عوفر بتاريخ 16 أيار 2024

49 زيارة المحامي للأسير (ع، م) في معسكر عوفر بتاريخ 29 آب 2024

التعذيب أثناء زيارة المحامي

لم تكتفِ سلطات الاحتلال بجريمة الإخفاء القسريّ التي مارستها بحقّ الأسرى الفلسطينيّين على مدار أشهر عدّة، ولا تزال ترتكبها حتّى تاريخ كتابة هذا التقرير التي تُعدّ انتهاكاً صارخاً للقانون الدوليّ الإنسانيّ، والقانون الدوليّ لحقوق الإنسان، بل استمرّت في سياسة العزل التامّ للمعتقلين عن العالم الخارجيّ من خلال منعهم من التواصل مع ذويهم بشكل كامل. لم تقتصر هذه الإجراءات على قطع التواصل الخارجيّ، بل امتدّت لتشمل تقليص التفاعل بين المعتقلين أنفسهم داخل السجن؛ ما يمثّل انتهاكاً لمبدأ الحياة الجماعيّة الذي تكفله المواثيق الدوليّة.

"ذبّحوني عشان أوصلك ووقعت على الطريق مرّتين، طلعونا من الفجر إلى الزيارة، ننتظر في قفص مغمّيين ومربّطين"50 هكذا عبّر الأسير (ج، ر) عن عذاب زيارات المحامين، حيث اتّخذت سلطات الاحتلال إجراءات عقابيّة إضافيّة عندما سمحت لبعض الأسرى بعد أشهر عدّة من بداية جريمة الإبادة الجماعيّة بلقاء المحامين. حيث يتمّ إخراج مجموعة من الأسرى وهم مكبّلون من اليدين والقدمين في ساعات الصباح الباكر، وتحديداً بين الساعة السادسة والسابعة صباحاً، بعد ذلك يتمّ اقتيادهم خارج أقسام السجن إلى منطقة قريبة من غرفة الزيارة، حيث يوضعون داخل قفص، ويُجبرون على الانبطاح أرضاً على بطونهم لساعات طويلة تصل في بعض الأحيان إلى 7 ساعات، تحت أشعّة الشمس المباشرة، وهو ما يُعدّ شكلاً من المعاملة القاسية واللاإنسانيّة المحرّمة وفقاً لاتفاقيّة مناهضة التعذيب. وأفاد الأسير (ع، ش) "الأوضاع صعبة خلال الزيارة، حيت إنّنا منبطحون ي طوال الوقت أثناء فترة الانتظار، وتكون أيدينا مكلبشة إلى الخلف وأعيننا معصّبة "51. وأكّد الأسير (م، و) قائلاً: "يحضرونا إلى الزيارة من الغرفة إلى قفص ننبطح فيه على بطوننا، ممنوع أن يتحدّث أحدنا مع الآخر، وبعدها يحضرونا واحداً تلو الآخر"52.

50 زيارة المحامي للأسير (ج، ر) في معسكر عوفر بتاريخ ١ تشرين الأول 2024

51 زيارة المحامي للأسير(ع، ش) في معسكر عوفر بتاريخ 29 آب 2024

52 زيارة المحامي للأسير(م، و) في معسكر عوفر بتاريخ 30 أيلول 2024

لا تتوقّف هذه الإجراءات التنكيليّة عند هذا الحد، إذ يُمنع الأسرى خلال هذه الفترة من تناول وجبة الإفطار، وأحياناً حتّى الغداء، إضافة إلى حرمانهم من استخدام المرافق الصحيّة طوال فترة الانتظار. وفي حال تَصادَفَ موعد الزيارة مع اليوم المخصّص للفورة، يتمّ حرمان الأسرى منها، وجميع هذه الظروف تمثّل حرماناً غير مبرّر من الحقوق الأساسيّة المكفولة للأسرى وفقاً للمعايير الدوليّة الخاصّة بمعاملة السجناء. ونذكر أنّ السماح بالخروج إلى الفورة كان الأسرى محرومين منه لأشهر عدّة؛ الأمر الذي بدأ مع بقيّة الإجراءات التنكيليّة المتّخذة بعد السابع من أكتوبر العام المنصرم، وسُمح للأسرى بعد أشهر عدّة الخروج للفورة لدقائق معدودة لا تتخطّى نصف ساعة، وخلال الفورة يُبقي السجّانون على تكبيل الأسرى، ويرفضون فكّ الكلبشات، ويُجبَر الأسرى على السير وهم محنيّو الرأس، وفي كثير من الأحيان يُحرم الأسرى من الفورة بشكل نهائيّ؛ ما يؤدّي لاحتجازهم في زنازينهم مدّة 24 ساعة.

تتّخذ سلطات الاحتلال هذه الإجراءات التنكيليّة مع الأسرى لتعقّد عمليّة تواصل الأسرى مع المحامين ، فعندما يُخرج السجّانون الأسرى من الغرف، يجبرونهم على الانتظار تحت أشعّة الشمس لساعات عدّة، مع حرمانهم من الطعام والشراب، واستخدام المرافق الصحيّة، حيث يصل الأسير إلى غرفة الزيارة منهكاً جسديّاً، وغير قادر على الكلام.

ومن خلال مشاهدات المحامين الذين قاموا بتنفيذ عدد من الزيارات لأسرى قطاع غزّة شاهدوا عدداً من الأسرى الذين وصلوا إلى غرف الزيارة وأيديهم أو أرجلهم ملطخة بالدماء؛ بسبب شدّ القيود بشكل كبير أثناء النقل، وذلك يشمل الإبقاء على تكبيل الأسرى أثناء توقيع أوراق طبيّة أو قانونيّة، إضاقة إلى إبقاء القيود أثناء احتجازهم في الزنازين. وقسم من الأسرى يصلون إلى غرفة الزيارة بعد الاعتداء عليهم أثناء نقلهم من الزنازين إلى غرفة الزيارة، وهم يرتدون ملابس ممزّقة بفعل الاعتداء، وملطّخة في الدماء، وهذا ما حصل مع الأسير (م، م) الذي خرج في تاريخ 4/11/2024 لزيارة المحامي، ليصل على كرسي عجلات غير قادر على الكلام، ووجهه مهشّم من آثار الضرب، ويوجد علامات وجروح على جسده. وتهدف هذه الإجراءات إلى إذلال الأسرى، وفرض فكرة الهيمنة والضغط النفسيّ والجسديّ عليهم.

52 زيارة المحامي للأسير(م، و) في معسكر عوفر بتاريخ 30 أيلول 2024

53 زيارة المحامي للأسير (م، م) في معسكر عوفر بتاريخ 4 تشرين الثاني 2024